صفاء القلوب

يجب أن نقف مع نفوسنا لنتأمل حال قلوبنا

القلب هو ذلك العضو العضلي المجوف الذي أودعه الله تعالى في الجانب الأيسر من الصدر، وهو المسؤول عن النشاط الفسيولوجي والمعنوي لجسم الإنسان، ولا يستقيم أمر هذين النشاطين، إلا بوجود صدر واحد للتوجيه، قال تعالى: ﴿مّا جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ الأحزاب٤ والقلب هو جوهر الإنسان وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فساد القلوب فساداً للجسد كله،وصلاحها صلاحا للجسد كله، حيث قال صلوات ربي وسلامه عليه :(إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري.

وقد اشار القرآن الكريم في أكثر آياته إلى أحوال القلوب ومعانيها، حيث أوضح من خلال الآيات البينات أن القلوب ثلاث أحوال هي:

القلب السليم، كما في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء٨٩، والقلب السليم هو قلب المؤمن الممتلئ بالإيمان والمحصن ضد الشهوات.

القلب المريض، كما في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة١٠، والقلب المريض هو قلب خاوٍ من الإيمان ممتلئ بالهوى والشهوات.

القلب الميت، وهو قلب الكافر المخذول المشحون بالشهوات المدنس بالخبائث، المتحصن ضد الإيمان، ويتضح ذلك في قوله تعال: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة٨٨ وبالنظر إلى أحوال القلوب التي أشار إليها القرآن الكريم وحال واقعنا الذي نعيشه اليوم، يمكن القول بأنه لا بد لنا من وقفة مع النفس، وقفة عميقة قوية نتأمل من خلالها حال قلوبنا في زمان كثرت فيه الفتن والمحن وكثرت فيه أمراض القلوب. والفتن تعرض على القلب فيقبلها أو يردها، فإن ردها كان ذلك القلب السليم الممتلئ بالإيمان، البعيد عن مزالق الشيطان، وإن تذبذب بين قبولها وردها، فهو قلب مريض يحتاج إلى مجاهدة النفس بعناية مكثفة ، وإن قبلها فهو قلب ميت.

د. شامة مصطفى

إذن فلينظر كل واحد منا إلى حال قلبه أين هو من بين هذه الأحوال الثلاث؟، فالعمر أيام معدودات لا تقبل الخسران والضياع.

تلك هي أحوال القلوب، وأما معانيها فقد أشار إليها القرآن الكريم من خلال آياته، حيث أوضحت الآيات أن القلب هو محل الفطرة السليمة، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء٨٩ والمتأمل لهذه الآية الكريمة يجد فيها كثيراً من المعاني التي ينبغي لنا جميعاً أن نسترشد بها ونهتدي بهديها، فكل إنسان مؤمن لا بد أن يسعى جاهدا لأجل أن يلقى الله تعالى بقلب سليم صاف ، وسلامة القلوب تقود لصفائها وهذا لا يكون إلا من خلال التعامل الكريم الراقي في الحياة اليومية، والأسلوب الطيب، والكلمة الطيبة، وبشاشة النفس، وطلاقة الوجه، ورحابة الصدر، والتواضع مع الناس جميعا، فإن كان قلب الإنسان هو محل الفطرة السليمة، فلم لا يجاهد كل منا نفسه ليصفو قلبه وتسمو نفسه وروحه بصفاء قلبه ؛ وسلامة القلوب إنما تكون لصفائها ونقائها وطهارتها وعفتها وصونها عن كل مزالق الشيطان والتوجه بها للعزيز الرحمن بحبه وخشيته وطاعته والخوف منه واللجوء إليه، في الرخاء قبل الشدة والغنى قبل الفقر، والصحة قبل السقم.

والقلب مكمن العواطف والمشاعر والأحاسيس والإنفعالات، ويتجلى ذلك في قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد٢٧.

وإذا كان القلب هو مكان العواطف والمشاعر فينبغي علينا أن نوجه عواطفنا ومشاعرنا وانفعالاتنا فيما يرضي الله ورسوله بحبنا وعطفنا على إخواننا وعلى الناس جميعاً بتعاوننا وبتراحمنا بإعطاء المحروم وإغاثة الملهوف، وباحترام الكبير منا، ورحمة الصغير، وبوصل من قطعنا، والعفو عمن ظلمنا، حتى لا نكون من أصحاب القلوب القاسية الذين توعدهم الله بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الزمر٢٢ إذن فلم لا تصفو قلوبنا حتى لا نكون في زمرة أولئك الذين قست قلوبهم عن ذكر الله ؟ ، فينبغي علينا جميعاً أن نسأل الله السلامة والعافية والرحمة من قساوة القلوب وغفلتها، خاصة ونحن نعيش في زمان أصبحت فيه القلوب كالحجارة لا تعرف الرأفة والرحمة إلا من رحم ربي، لا لشيء إلا لأنها غفلت عن ذكر الله والأعمال الصالحة وانشغلت بالدنيا وزخرفها.

إذن فالقلب الصافي هو قلب متعلق بذكر الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قلب مطمئن معمر بالتقوى تنفتح فيه خواطر الخير كله.

إن صفاء القلوب لا يأتي إلا بمجاهدة النفس وحملها على حب الخير، وحتى تصفو قلوبنا فلنعمرها بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولنطرد عنها كل ضغينة ولنعمرها بحب الخير للناس جميعا ، ونبعد عنها كل رياء وكبر ولنملأها بالتواضع لله والناس أجمعين، ونطهرها وننقيها من كل الدنايا ونسمو بصفائها إلى درجات الكمال حباً لله تعالى وطاعة له، وحباً لرسوله صلى الله عليه وسلم، فلتصف قلوب الجميع.

خير الناس من طال عمره وحسن عمله

لأن الإنسان كلما طال عمره في طاعة الله زاد قرباً إلى الله ، زاد رفعة في الآخرة، لأن كل عمل يعمله فيما زاد فيه عمره فهو يقربه إلى ربه عز وجل، فخير الناس من وفق لهذين الأمرين، أما طول العمر فإنه من الله وليس للإنسان فيه تصرف؛ لأن الأعمار بيد الله عز وجل؛ وأما العمل فإنّ بإمكان الإنسان أن يحسن عمله ، فكل إنسان يستطيع أن يعمل عملاً صالحاً، وقد أخبر النبي (ρ) أن بعض الأعمال الصالحة سبب لطول العمر، مثال لذلك صلة الرحم، فقد قال فيها: (من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أسره فليصل رحمه) ، وصلة الرحم من أسباب طول العمر، فإذا كان خير الناس من طال عمره وحسن عمله، فإنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله دائماً أن يجعله ممن طال عمره وحسن عمله، من أجل أن يكون من خير الناس.

وتأييداً لما سبق أود أن نقف سوياً أخي القارئ مع قصة وردت في عدد كبير من كتب السنة تؤكد فضل طول العمر مع الطاعة، والقصة وردت بروايات عديدة نقف مع ثلاث منها ، ومن ثم نتلمس الفوائد منها ، ولك أن تستدرك عليُ الفوائد التي لم أتنبه لها من خلال النصوص.

روى الإمام أحمد في مسنده برقم: ١٣٨٩ عن أبي سلمة (τ) قال: نزل رجلان من أهل اليمن على طلحة بن عبيد الله (τ) فقتل أحدهما مع رسول الله (ρ) ، ثم مكث الآخر بعده سنة ثم مات على فراشه فأرى طلحة بن عبيد الله أن الذي مات على فراشه دخل الجنة قبل الآخر بحين ، فذكر ذلك طلحة لرسول الله (ρ)، فقال (ρ): كم مكث في الأرض بعده؟ قال: حولا، فقال رسول الله (ρ): صلي ألفاً وثمانمائة صلاة وصام رمضان.

د. عبد الرحمن يوسف

وبرقم ١٤٠١ عن عبد الله بن شداد: أن نفراً من بني عذره ثلاثة أتوا النبي ، فأسلموا، قال: فقال النبي (ρ): من يكفنيهم قال طلحة: أنا، قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي (ρ) بعثاً، فخرج أحدهم، فاستشهد، قال: ثم بعث بعثاً، فخرج فيهم آخر، فاستشهد قال: ثم مات الثالث على فراشه. قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامهم ، ورأيت الذي استشهد أخيراً يليه ، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم ، قال فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي (ρ) فذكرت ذلك له. قال فقال رسول الله (ρ) (وما أنكرت من ذلك ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله).

وبرقم ١٤٠٣: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن طلحة بن عبيد الله: أن رجلين قدما على رسول الله (ρ) وكان إسلامهما جميعا، وكان أحدهما أشد اجتهاداً من صاحبه ،فعزا المجتهد منهما ، فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم توفي، قال طلحة: فرأيت فيما يرى النائم، كأني عند باب الجنة: إذا أنا بهما، وقد خرج خارج من الجنة فأذن للذي توفى الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجعا إلي فقالا لي أرجع فإنه لم يأن لك بعد، فأصبح طلحة يحدث به الناس فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول (ρ)، فقال: (من أي ذلك تعجبون) ، قالوا: يا رسول الله هذا كان أشد اجتهادا ثم استشهد في سبيل الله ، ودخل هذا الجنة قبله فقال: أليس قد مكث هذا بعده سنة قالوا: بلى وأدرك رمضان فصامه. قالوا: بلى. وصلى كذا وكذا سجدة في السنة، قالوا: بلى قال (ρ): فلما بينهما أبعد ما بين السماء والأرض.

هذه الروايات الثلاث ليس بينها كبير اختلاف، وكلها تدل على أن الرجل الثاني مقدم على الأول كما في الروايتين الأولى والأخيرة، وأن الثالث أفضل من الأول والثاني كما في الرواية الثانية.

وهذا الفضل الذي أدركه الرجل الأخير مع أن رفيقيه استشهدا في سبيل الله ، بينما مات على فراشه، حصل عليه بعد أن أطال الله عمره سنة كاملة أدرك فيها مل لم يدركه رفاقه شهداء الغزوتين ، فقد منّ الله عليه بصلاة ذكر النبي (ρ) عددها، ونال فضلها ، وصام بعدهما رمضان حصل فيه الخير الكثير، وأدرك عشراً من ذي الحجة التي قال النبي (ρ) فيها: (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام). يعني أيام العشر. قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال: (ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء). وغير ذلك من العبادات الواجبة والمندوبة ، لأجل ذلك جاء الفارق بينه وبين أخويه كبير جداً وهو ما ذكره النبي (ρ) بقوله: (فلما بينهما أبعد ما بين السماء والأرض).

والحديث بين فضل الصلاة، وصيام رمضان، فإنهما كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر. والتسبيح والتكبير والتهليل، والصلاة المذكورة هي الصلاة المفروضة بدليل أن النبي (ρ) ذكر لها إحصاءً دقيقا، ألف وثمانمائة صلاة بواقع الشهر ثلاثون يوماً.

وفي الرواية الأخيرة جاء فيها: (وكان أحدهما أشد اجتهاداً من صاحبه) وإضافة لكونه كذلك مات شهيداً، ولكن الذي مات بعده وعلى فراشه دخل الجنة قبله وذلك لأن الثاني أدرك فرائض لم يدركها الأول وفي الحديث القدسي (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه) ، فإذا كان الأول قد فاق الثاني نافلة فإن الثاني قد فاقه فرضاً فشتان بينهما.

هذا الفضل أدركه في خلال سنة واحدة، فكيف يكون حاله ولو قدر له أن يعيش بعدهما سنتين أو ثلاث أو أكثر من ذلك .

وفي هذا دليل على أن مجرد طول العمر ليس خيراً للإنسان إلا إذا حسن عمله ؛ لأنه أحياناً يكون طول العمر شراً للإنسان وضرراً عليه ، كما قال تبارك: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ آل عمران١٧٨ ، فهؤلاء الكفار يملى الله لهم. أي يمدهم بالرزق والعافية وطول العمر والبنين والزوجات . لا لخير لهم، ولكنه شر لهم والعياذ بالله ، لأنهم سوف يزدادون بذلك إثماً، ومن ثم كره بعض العلماء أن يدعى لإنسان بطول البقاء ، قالوا لا تقل أطال الله بقاءك إلا مقيداً، أطال الله بقاءك على طاعته، لأن طول البقاء قد يكون شراً للإنسان.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن طال عمره، وحسن عمله، وحسنت خاتمته وعافيته ، إنه جواد كريم

الوحدة المفترى عليها

تشهد بلادنا هذه الأيام حراكاً سياسياً وثقافياً في قضية مفصلية تهم كل أفراد المجتمع وتتعداه إلى بلدان أخرى ألا وهي قضية وحدة السودان، فوحدة السودان أو انفصاله تترتب عليها معطيات يجب أن يعلمها كل من يود الخوض في تفاصيل هذه القضية، كم هو مؤلم أن تجد من أبناء جلدتنا وهو ينادي بالانفصال وهو بذلك يريد بتر أحد أجزاء السودان عن بعضه، لو أخفى أحدنا إحدى ذراعيه داخل جلبابه وترك الأخرى في حالتها الطبيعية فالينظر إلى هيئته غير المعتادة لما استقامة للحظات فاليد الواحدة لا تصفق، كما قال الشاعر:

تابي الرياح إذا اجتمعنا تكسر ..
وإذا افترقنا تكسرت آحادا ..

فلو أن ندلل أن الوحدة خير من الانفصال من القرآن أو السنة لقالوا أن الجنوب يخص فئات إثنية لا تدين بالدين الإسلامي وهذا خطأ فالديانات لا تحدها حدود جغرافية، وبعض من سكان الجنوب يدينون بالإسلام ومنهم اللاديني .. فالعالم من حولنا يتحد وحدة الاتحاد الأوربي وحتى في العملة، حلف شمال الأطلسي « الناتو « والأمثلة لا حصر لها، دول انفصلت وتراجعت أخيراً فلربما يقول قائل أن نجرب الانفصال مرة ، فالجنوب جلب لنا الدمار والخراب، فنقول له كل شمس تشرق لا تنتظر شمس يوم آخر، فالانفصال ليس بالأمر الساهل فنحن لم نتربى على هذه الثقافة المتشرزمة، حيث رددت ثقافتنا حوجتنا للجنوب وأكثر من غيره تغنى أحمد المصطفى ... على بن الجنوب ضميت ضلوعي..

عبد الله محمد أحمد

فهي من العمق الوجداني، حقيقةً كم هي محرجة أن تصنف الناس جنوبي وشمالي وغيره، هي ثقافة تكريس للانفصال فإخواننا في جنوب الوادي يقتسمون معنا كراسي القاعات للدراسة وتظلنا شجرة واحدة في فناء المدرسة والجامعة وهم أصحابنا في القرية ونجد أعمق معاني الوحدة في عدة جهات،وليكن مدخلي لذلك المؤسسات العسكرية فتجد أخاك من الدفعة أقرب الناس إليك فتحكي لجيمس وأتير، وجون أكثر مما تحكي لشقيقك في المنزل فيسأل أحدكم أخاه أو جاره وهو يعمل في الشرطة أو الجيش عن ذلك ..

ومثال آخر عندما ذهب نفر كريم من جوبا ومدن الجنوب الحبيب مؤزرين فريق المريخ براً إلى يوغندا عندما واجه فريق كمبالا سيتي العام الماضي، وهو لأروع مثال في الوحدة الوطنية المفترى عليها، ومما يحز في النفس أن أخوتنا في الإسلام والعروبة ومن يدّعون الفهم والكياسة في السياسة والثقافة وهو ينادون بالانفصال أما كان حري بهم أن يقولوا كلمة في حق دينهم أن يتخذوا من منطلق الوحدة دعوة لنشر الإسلام في كل ربوعه وقد انتشرت الخلاوي في أنحاء كثيرة في الجنوب وإن لم يستطيعوا نشر الثقافة الإسلامية تحت مظلة الوحدة الوطنية فلتكن كلمتهم ضد الفرقة والشتات وبتر أجزاء أخرى من البلاد .. فالعقيد د.جون قرن عندما تحدث عن الثقافات المتعددة قال بلهجته العربية المعهودة (تعدد الثقافات دا حاجة كويس مش بتالة نعنه عائوين نبني دول قوية في أفريقيا)

وطالما إقتضت الضرورة أن يتحكم في هذه القضية (استفتاءاً) فالندعم ذلك بقول الخير وأن يسهم التحول الديمقراطي في جعل المواطنة أساساً للحقوق والواجبات.

منقو قل لا عاش من يفصلنا..

انتبهوا

د. محمد موسى البر

انتبهوا الحرب على الإسلام حرب على الحرية والمساواة والعدل (٣/٢)

إن الإسلام إذا خاض حرباً إنما يخوضها لتحرير البشرية وتكون حرباً للنظم الاستبدادية وعبودية البشر لناس من البشر، وعلى الطغيان والظلم والشطط، وعلى الخرافات والأوهام والأساطير، الحرب على الإسلام تجعل الإسلام يدافع لإقرار المساواة والعدل والكرامة، فهي ليست كحرب الحضارة الغربية التي تسعى جرياً وراء الربح المادي، والاستعباد العنصري، والتعصب الديني كتلك الحروب التي عرفها العالم الغربي الصليبي في كل تاريخه الملوث الطويل، تلك الحروب التي لا تزال آثارها واضحة للعيان، حروب كان مقصدها إذلال الإنسان واستنزاف موارده واحتلال الأراضي، يشهد على ذلك الحال في أفريقيا وآسيا والقارة الأمريكية.

الحروب التي كانت رمزاً للعنصرية والحقد والحرب الحديثة الآن على العالم الإسلامي هي ضرب من ضروب الحروب والأطماع المادية والاستعبادية والحرص على استنزاف العالم الإسلامي، وهي حرب للحصول على موارد العالم الإسلامي، ولا سيما ثروة البترول، فهي حرب ضد حقوق الإنسان التي يتبجح الغرب الصليبي بحرصه عليها، والحرب على الإسلام حرب ضد الإنسان والإنسانية لأن العالم لم يعرف مبدأ احترام الإنسان كالدين الإسلامي، لذلك يحاربون وينازلون الإسلام، هم أعداء الإنسانية وحقوق الإنسان . والحرب على الإسلام تحاول إبعاد مبدأ اعترف به كل العقلاء والحكماء في العالم بأنه البلسم الشافي لحل المشاكل المعاصرة، ويمكننا إثبات ذلك بما قاله وكتبه عقلاء وحكماء الغرب الصليبي نفسه، والحرب على الإسلام حرب على دين يملك كل مقومات الحضارة والرقي والبقاء، ثبت ذلك على مستوى الزمان والمكان، والحق يقال إن الذين يحاربون الإسلام يتحملون نتيجة أن العالم الإسلامي والعالم أجمع تسوده سياسة وحضارة الغاب، وليس أدل على ذلك من الذي تتناقله وسائل الإعلام صباح مساء من قتل وطرد وتفجير ، كل هذا نتاج الحضارة الغربية المادية التي يقودها القادة الصليبيون، حضارة لم تعط العالم الأمن من الخوف ولا الإطعام من جوع ، حضارة اكتشفت كل أدوات الدمار وتفننت في صناعتها وارتدت هذه الأدوات إلى صدر الحضارة الغربية وعاش العالم جراء هذه الأدوات في حرب ضروس، وفي الجانب الآخر يقف الإسلام في قمة شامخة ينظر إلى المستنقع الآسن الذي تغرق فيه الحضارة الغربية الصليبية وهي تلغ في دماء وقيح هذا المستنقع الآسن.